النتاج الجديد

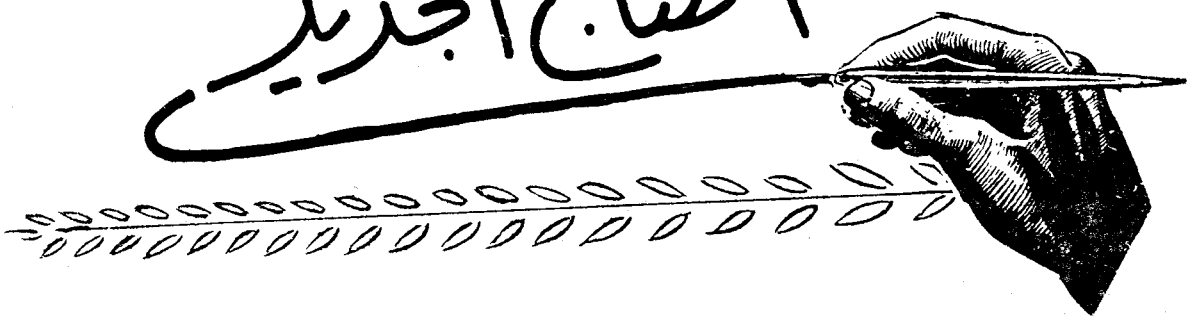

ساق على الدانوب

شعر هلال ناجي

مطابع دار العلم للملايين – بيروت – ١٩٢ ص

* * *

يقول الناقد الفرنسي الكبير سنت بيف ما معناه « ينبغي على ناقد الشعر ان يدرس حياة الشاعر نفسه ويستوحي منها صورة نقده التحليلية» وقول سنت بيف هذا لا يشطر النتاج الشعري عن حياة الشاعر ولكنه يجعلها اساسا دقيقا للمعرفة العامة ومدخلا للاستحلاب الفني ، وهو بهذا لا يبتعد ابدا في مؤداه عن الشاعر الانكليزي ت. أس اليوت T.S. Eliot حينما يسخر من الناقد الحاقد الذي يعنى بخصائص الشاعر الحياتية الخاصة ، وينفذ اليها من طاحونة نقده الشخصي ، تاركا المضمون الشعري جانبا من غير دراسة حرة ، واستنباط امين متفهم للاحاسيس المرتبطة ارتباطا محكما بالتجربة الشعورية ، او بالوعي الباطني مباشرة .

ان كلا القولين يلتقيان ببعضهما من حيث النتيجة رغم انهما يختلفان من حيث الاتجاه ..

وانا اذ اكتب عن اخي وصديقي وزميلي الشاعر الاستاذ هلال ناجي المحامي اضع شعار سنت بيف في النقد الادبي معيارا لي في الحديث مؤمنا بطريقته ...

عرفت هلالا اخي صديقا وفيا واخا نبيلا وعربيا اصيلا .. وعرفت هلالا زميلا كريما حينما كنا طالبين في كلية الحقوق نصارع الاحداث يدا بيد مع شلة من اخوان اعزاء لنا في النضال القومي ، ونمرح هازلين في ملاعب النشوة المتحدية الصارخة ...

وما زالت ذكرياتنا الدراسية بما اتشحت به من الاجواء السياسية والشعرية والنقدية سلوانا لنا في معرض كل حديث عابر .. وليس غريبا علينا ان نهدهد بعض دموعنا الرقراقة ونصعد من زفرات الماضي الجميل ونحن في ايام الجفاف الفكري والجدب الادبي وتفرق الشمل الاخواني.

وعلى هذا المعيار سأكون مهتما بشعره قدر معرفتي لجوانب حياته واتصال احدهما بالاخر ، وسيكون مجال الصدق في اعطاء الحقائق النقدية والقاء الاضواء الكاشفة مساويا للحد المعين من المعرفة المستوعبة.

والحديث عن حياة الشاعر وشعره يلزمنا ان نحدد بعض الخطوط الاساسية في هذا البحث الموجز..

تتميز حياة هلال بشيء كبير من (الحدة) في كل ما حولها من جوانب، وقد يخونه التعبير المعبر في ابراز هذه الخاصية بشكلها الفني الجذاب.. الا انها تبقى ميزة حية لحياته ، فهو عارم العنف في هجائه للساسة الخونة ، قاس مقذع فصاح في هجائه العام .

وحياة شاعرنا المتصلة بالصحراء الطليقة في بعض جوانبها تفضي به الى عناد عقيم ازاء حركية الحضارة المتفائلة بالتطور العلمي ، وكثيرا ما يتكلس التعبير عن غير قصد فيفسد عليه المعنى لانصرافه العفوي الى تحنيط بعض معانيه المتحررة باللفظ الجاهلي البائد ، اللفظ الذي لا يتصادى في مسامع القاريء ، فكيف باعماقه الحسية ؟؟

هناك الايفاع والقليب والنعامى والعضاريط والقيصوم الخ. كلها وان كانت الفاظا من لحم ودم وعظم عربي ، الا ان روح العصر اللغوي المتطور قد اجهضها منذ امد بعيد، ولما تبلغ بعد دورتها البويضة وهي في الرحم.

في قصيدتيه (اذكرينا) و (وقل للجبان) نرى صورا من الهجاء السياسي غير الموضوعي في اغلب خطوطه وانعكاساته ، وفيها تأثر بالغ بالروح الديباجية لشاعرنا الجواهري ، وهو في تناوله الموضوع يتخذ من مقصورة الجواهري الشهيرة طريقا للتعبير، ينتهي تفصيله بتحاياه (للفرات) و (الشط) و (القفة) و (القبرات) و (القهوة) كما كان الجواهري في مناغاته لدجلة والنخيل والشاطئين والجنادب والضفادع .

وفي هذين البيتين من قصيدته (قل للجبان) يبدو جمال الصورة ورقة التعبير والظلال الحالمة :

والشط دغدغه ضياء حالم أغفى عليه فخلته محرابا
والقفة الرعناء يلثم جنبها موج فميلا روحها اعجابا

وهناك التقاء محبب بين قصيدتيه (الشتاء في الصحراء) و (اذان الفجر) على الرغم من اختلاف الموضوع في القافية الواحدة والديباجية المشتركة وابراز التصوير الطبيعي ، بيد ان اخلاص الشاعر الحسي كان اكثر صدقا وعمقا في قصيدته الثانية.. يرجع ذلك فيما المس الى تنوع الخواطر الشعورية ذات الابعاد اللامحدودة واحتشاد العواطف المترعة بالجو التأثيري المشحون بالانفعالات والتفاعلات الشعورية .

ويجلي الشاعر في اقصوصته الشعرية المرحة (فتنة النار) ويوفق في تجربته شكلا ومضمونا الى حد بعيد ، ساعده الجرس الموسيقي للبحر والقافية الرائية المكسورة الجميلة وحسن الانتقاء اللفظي البعيد عن التشويه بالقالب المتيبس ..

وفي قصيدة (سؤال) الراقصة يبرع الشاعر في اختيار كلماته الرقيقة المعبرة عن الصورة الجمالية بما فيها من دلالة الايقاع الفاتن والنغم العذب.

ومن قصيدته (فرقة الصيف) يعجبني هذا البيت الذي يصف به احدى حساننا في كلية الحقوق ايام التلمذة ، وهو بحق عندي اجمل بيت غزلي للشاعر في ديوانه ...

كـأن الاله وقـد صاغهـا ملـى محاسنهـا .. مرتين !!

وتنفرد قصيدته (غروب) بالجو النفسي الهادىء المطمئن باكآبة ، المنميز بالخشوع الراهب ، بما اضفى عليها من السينات المهموسة البالغه ثلاثه وعشرين سينا ..

وفي (اشواق اليهود) يبلغ الشاعر شعره السياسي في مجموعه . ففي هذه القصيدة تخصيصا يكمن نجاحه من طريق تلمسه المحتوي من الوجهة السياسية الذاتية بتركيز موضوعي يتناول كل طاغية هلوك ببيع وطنه العربي للاجنبي المستعمر واليهوديه العالمية .

وهناك قصائد الشاعر الجديدة التي كسبها اثناء تجواله في اوروبا والتي سجل فيها تطورا ملحوظا في نضجه الشعري المتفاعل مع ترف الحضارة العتيدة .. .

في قصيدة (نقود) تعبر عن فكرة ابتزاز المال في باريس بشكل لا يخلو من السرد السطحي المنجرد من عمق الصورة الحية .. وفي (ساق على الدانوب) رغم انها من شعره العاطفي الا انه لا يخلت من الفخر بنفسه ونسبه ، وفيها يخنق شعوره المنطلق في المقطع الثاني ، بينما يعبر بنعومه وبلغانية في مقطعي الاستهلال والختام ..

وجميل من شاعرنا ان ينفح اخته العربيه في مطار دمشق بهذين البيتين الحالمين المعبرين عن وفاء العروبة الاصيل ..

ذراع نرفرف مثل الجنـــاح واخرى نراح على الشاطيء
اموجعـة النظرات الصحـاح مكانك في الخاطر الظـاميء

وتذكرنا قصيدته (الوزارة السعيدية) لاول وهلة بقصيدة الاستاذ الجواهري (اي طرطرا تطرطري) التي قطعت دابر كل استحسان لما كتبه الشعر بعدها الى يومنا هذا ، ولا ننسى الضجة الكبرى التي احدثتها في الاوساط الجماهيرية والجهات الحكومية على سواء..

وفي قصيدته (عابد البدن) يبرز اثر الجو الموسيقي في نجاح التجربة اما مقطوعتاه (غجية من باريس) و (حكاية عبر الطريق) ففيهما نفحات فنانية قوية يخيل لي كما لو انهما ليستا للشاعر ، او كانهما دخيلتان على عواطفه ، غريبتان عن تجاربيه ، على الرغم من انه لم يستطع تصوير الجو الليلي البوهيمي بشكل ناجح في المقطوعة الثانية .

وهناك بداية قومية رائعة ، تلتهب في جوها الحس العربي الاصيل من قصيدته (نحن الرماد) .. الا ان منتهاها مغلف بالتشاؤمية اللامؤمنة منحرف كثيرا عن واقع الوجهة القومية التحررية ، بعيد عن اشعاعات البعث العربي الثوري الزاحفة صوب ارض الوطن العربي الكبير ، من قناديلها الراعفة بضياء الوحدة والحرية والاشتراكية ..

والشاعر مخلص في استذكاراته العاطفية المشدودة بالارض العربية المقدسة في قصيدته التي كتبها من مدريد (في مرقص النخيل) على الرغم مما يشيعه اللهو الغامر ، وتبعثه اللذات الجسدية الطافحة بلهب النشوة الجنسية في اعصابه واعراقه من انطلاقات وخيالات وانعطافات

اما قصيدته (جمل) فهي فيما ارى احفل قصائد المجموعة غنى من حيث الفكرة ... ففي اتساع التجربة الموضوعي مجال كبير للابداع الشعوري والخلق الفني والتصوير البديع المنطلق خلف ظلال الاخيلة والتاملات ..

* * *

وفي قصيدة (احرار وعبيد) يبرز مأساة الواقع الفاسد ، وتناقضات الصراع بين سلطان الخير وجبروت الشر .. فهنا طموح وقوة عملاقة وانتصار وخيلاء .. وهناك خور وخيانة وانانية وقفاقيع وانتحار بطيء وانخذالية ، ويتراوح الشاعر فيها بتفاوت بين اسلوب خطابي عنيف يشحذ له كل الفاظه الحادة، وتاملات هادئة وخيالات صافية يذيب عليها من روحه صفاء الكلمة ورقة التعبير .

تبقى هناك .. قصيدة قومية خصبة بجمال الاسلوب وعذوبة الحرف جياشة بالحس العربي وحداء الجو المؤثر ... عنوانها (لقاء العربية)

فالشاعر في ديار الغرب يلتقي في لقيا عابرة .. ووجها لوجه ... امام اخته العربية من لبنان ... في سيارة اتوبيس ، فينبض وجدانه الدافيء بالعواطف الشاعرية ... بالحب لارض الوطن .. بالشوق لقسمات بنيه ... بالانتصار النشوان لقومه .. بما تبعثه الامجاد في الاحفاد من رؤى نيرة .. فلا يريد من السائق ان يعصر عمر الزمن بالسير العجلان ... وكاني به يود من اعماقه ساعتها ، لو ان السيارة اصيبت بعطب !! ، ليلقي نظرات الحنين الطاهر ، ويغبس من الامح لفحات شمس الشرق ونور كبرياء العرب !

وانا لا اريد ان اقتبس بعضا من ابياتها هنا للاستشهاد بها .. وحسب القاريء نفسه ان يعشها بشعوره وحدة مترابطة الصورة بالاطار .

وللشاعر هلال اخي .. تحايا الوفاء والاعجاب

بغداد **علي الحلي**

مـع الخالدين

بقلم سمير شيخاني

***

« مع الخالدين » ، الكتاب الذي تناولته مرة في عجالة لاتحدث عنه ، عن مناخه واجوائه ومواضيعه ، عن نقاط العرق ونبضات القلب المزروعة في كل صفحة من صفحاته ، ارجع اليه اليوم لاقف مشدوها امام ضخامته ، ولاتساءل كيف بني ومن رفع قبابه واعتابه ، واية يد رصفت مداميكه وبسطت ارجاءه .

ولكن تساؤلي لا يلبث ان يأخذ في التفلص كلما اوغلت في الكتاب ووقعت عيني على النوع العجيب .

ولا اخفي الرهبة التي اخذتني عند بابه ، والتي اكثر ما تشبه الرهبة التي سيطر على زائر مغارة اثرية ساعة يطا رتاجها : هلا سنرجع ؟

وبطول بنا الطواف ، ونعود باحلى ما يحكى عن الطرائف والاعاجيب..

«مع الخالدين » اثر يهزك اكثر مما يهزك زيارة هياكل يحدثك ببرودة عن الماضي . وهو حصيلة انصراف منرهب ونفس طويلة ككل عمل ادبي. حتى لتخال انك لا تستعرض حروفا مينة واسماء تركت شذاها . لانك تنفعل غضبا عنك وتتاثر وتعيش من جديد فصلا من حياة الخالدين.

لدى نبحر في الكتاب ، يراودك ظن انك فريسة النمط الواحد والطرق الرتيب لدراسة الاشخاص. واكثر من ذلك.تتنابك وساوس في قدرة الكتاب عى الصمود . ولكن سرعان ما تنحل عقد جبينك وتنبسط

التساؤل الذي لا بد ان يرتسم امام كل عمل كبير .

انه مجموعة مقابلات بين الشاعر وابطاله ، واستعراض للخصائص التي تميز وجها عن وجه ولونا عن لون ، وظلا عن ظل ، وملامح عن ملامح. هذا ما فعله سمير شيخاني لينقذ نفسه من الترداد والاختناق في اقبية التاريخ .

وما هم اذا استهل معظم فصول الكتاب بتعريف الاسم وتاريخ الولادة ومحلها لينتقل من ثم الى سرد الوقائع واستعراض المذهب او تحديد القيمة ؟

المهم انه ركز على الجوهر ، اذ تناول كل شخص من اشخاص كتابه من ناحية القوة فيه .

ومن هنا ، ليس الكتاب مجموعة نبذات .

انها محاولات في الدراسة الادبية حينا ، وفي السيرة حينا اخر ، او مزيج من الاثنتين ، وضعها المؤلف بايجاز وشمول ودراية .

وقد تعمدت تسميتها مقابلات لمافيها من تسجيل للوقائع البارزة المثيرة في حياة الخالدين . فهي لا تترك انة او دمعة او صرخة او اي حدث بارز الا وتلتقطه بصدق وبراعة ثم تدعه يعبر ، يخفق، يمشي، ويضحك، يقهقه ، يثور او يئن .. حتى لتسمع احيانا همسهم الخافت يترقرق في اذنيك ايحاء وبعثا لما لا ينطفيء لدى الخالدين ..

ان صوتهم لا يموت ! يلاحقنا كالطيف ، يذكرنا باهمية وجودنا ،بقيمتنا وبمصيرنا .. يرسم لنا الطريق الى المستقبل ويصنع عواطفنا وافكارنا وصورنا ، يلون ايامنا بالاصداء المرحة تنبعث من داخل الوقت .

سمير شيخاني يبدع في الكلام عن الذين خلدهم غرامهم . فسواء كنت مع سميراميس او مع كليوباطره او مع زنوبيا او شجرة الدر ، تأخذك واقعية السرد وحرارته ، وشغف اللفظة بالبث والبوح.

فهو لا يهمل حركة من حركاتهم ، ولا كلمة صنعت موقفا تاريخيا او حدثا مشهودا في حياتهم ، او رائعة من روائعهم ، الا ويستغل وقعها في نفس قارئه .

غير انه يدافع كثيرا عن اشخاصه ويتبنى مواطن قوتهم حتى تكاد ان تنسى مواطن ضعفهم . فقلما تعثر في الكتاب على حكم تناول فيه المؤلف النواحي الضعيفة من نتاج اشخاصه .

وهذا ما يجعلني مرة ثانية ارى في كتابه مجموعة مقابلات واستعراضات اكثر مما هو مجال دراسة ونقد .

اما اذا حكم ، فياتي حكمه مختزلا ، ولا اقول متعسفا . وعليك ان تختار . فاما ان تقبله بلاتعليل ، او ان ترفضه بلا تعليل .

من ذلك قوله :

« لا جدال في ان برناردشو كان اعظم اديب في عصره ، هذا العصر الذي يمتد من عهد الملكة فيكتوريا حتى عهد القنبلة الذرية . كان روائيا وروائيا اعظم من شكسبير ، وناقدا موسيقيا اخبر من بتهوفن ، واشتراكيا رأى ابعد مما رأى كارل ماركس » .

ولم نعرف اذا كان المؤلف يقصد ان يقول ان برناردشو كان اعظم اديب في عصره ، في انكلترا ام في العالم . وبين القولين بون شاسع.

او تصنيفه للمتون بقوله :

« يحتل هذا الشاعر المقام الثاني في الادب الانكليزي.. فالمقام الاول يتربع فيه شكسبير غير منازع ».

ولا ادري ، للمناسبة ، الى اي حد يمكن ان يكون التصنيف حكما ادبيا مقبولا به .

او قوله عن شيللر :

« شاعر الحرية ، (وبطل الادب الالماني) ـ على حد تعبير الكاتب توماس مان ـ

وهنا الاستشهاد يعني التبني.

او قوله :

« شارل بودلير زعيم الرمزية ، او المدرسة الشعرية الحديثة » في حين ان الرمزية ليست سوى مدرسة من مدارس الشعر الحديث .

او قوله :

« كليوباتره !.. اكبر عاشقة عرفها التاريخ ... »

او قوله :

« هتلر ، جنكيز خان العصر الحديث ..»

هذه الاحكام التي لا تترك كل مجال الاختيار ، تتكشف عن جرأة نادرة في الحكم لدى المؤلف ، وابرز ما في الناقد جرأته في القول الفصل . خاصة اذا كانت دائرة الحكم تتسع لمائتين وثمانين محكوما. غير اني كنت افضل لو تحاشى الاستاذ شيخاني طريقة البت الجازم في مجال لا يتسع للتعليل الكافي . اذ لو اراد المؤلف ان يدخل في تفاصيل ، لاستغرق عمله الضخم الشاق عدة مجلدات من الحجم نفسه .

اما اكثار المؤلف من الاستشهادات في معرض الاحكام فيبقى عملا ايجابيا ما دام الكتاب ينزع الى السيرة . اما اذا نظرنا اليه كدراسة فينقلب الاستشهاد الى ظاهرة سلبية . بيد اننا قلنا في مستهل كلامنا على الكتاب انه مزيج من السيرة والدراسة والتاريخ والمقال . وهذا المزج الموفق ، المصوغ بعبارة سلسة اليفة متناسقة التقاطيع ، وان لم تكن انيقة منخلة ، وبتفكير هادىء وبسجية متناغمة وباحساس رهيف مشبع بالنغم الباطني ، هو الذي ارتفع بالكتاب الى مستوى العمل الجديد .

* * *

والكتاب ، الى ذلك ، عمل تقدمي يعادل بين المتعة والمثل ، ويقربنا من العواطف الانسانية العميقة التي بنت ولا تزال ، عالمنا ـ عالم البشر ـ بالوانه وصوره ومدهشاته ، وهو التقاء انساني في الذروة يؤلف ويجمع ويسهم في وحدة الروح الانسانية على صعيد الرسالة .

والكتاب من حيث النوع محدث في خزانتنا العربية بالاضافة الى انه تجاوب صادق مع الروح اللبنانية النازعة الى الانفتاح على الفكر العالمي .

* * *

كان يكفي ان يطلع علينا سمير شيخاني بنتاجه الاخير ، لندرك ان بيننا من لا يزال يؤثر العمل الصامت البطيء.

***

امنية ناقصة : كنت ارغب لو لم يغفل الكتاب بعض الخالدين الخالدين امثال فاليري ورمبو ....

فائق رجى

سواد في بيـــاض

بقلم وداد سكاكيني

اعتاد نقاد العربية الاول ان ينظروا الى الاثـر الادبي من حيث المبنـى بصرف النظر عن المعنى ، فقد كانوا يتلمسون مواطن الجمال في اللفظة والتشبيه البليغ ، والصورة الرائعة ، والالتفاتة البارعة .. الى غير ذلك من الامور التي باتت في عصرنا الحاضر اقل قيمة من ذي قبل ، بعد ان اصبح النقد الادبي يرتكز الى اسس جديدة ، تحفل بالمعنى المعقول ، دون ان نغض من قيمةالمبنى المصقول ، كما تهتم في الوقت نفسه بمقارنة الاثـر الادبي بمحيط الاديب وبيئته ، لترى ما اذا كان قد أفاد امته واستفاد منها في عرضه لخلاصةخ براته الشخصية وتجاربه الذاتية ونزعاته الفردية ، ام انه اكتفى بنقل صور باهتة لا حياة فيها ، دون ان يعرض لمشـاكل مجتمعه ويقترح الحلول الحاسمة لها .

وحينما قرأت « سواد في بياض » آمنت بان للادب تأثيرا كبيرا فـي المجتمعات ، لا يقف عند حدود الناحية « العبارية » وحدها وانما يتمثل في المضمون الفكري الذي يؤدبه وفي الفلسفة العميقة التي يتبنى وجهة نظرها حول الكون والانسان والحياة ، وادركت عمليا ان للاديب ـ او الاديبة ـ رسالة هامة في اصلاح المجتمع ، وتحرير الامة ، ونهضة البلاد، بما يحمله ـ او تحمله ـ من غذاء روحي وتوجيه فكري ينتجان قوة فاعلة وطاقة منتجة ، لا تعدلهما اي طاقة او قوة اخرى في هذا الوجود .

و « سواد في بياض » هو مجموعة مقالات ودراسـات فـي الادب والاجتماع والسياسة والتصوف ... وغير ذلك .. ان دلت على شيء فانما تدل على مدى ثقافة وداد سكاكيني واطلاعها في كثير من المجالات وقبل ان اذكر مميزات الاديبة المؤلفة وخصائصها اجد من واجبـي ان اعرض موجزا عاما لما جاء في الكتاب من ابحاث ، وسأتبع في هذا العرض اسلوبا غير الذي اتبعته السيدة المؤلفة لانني ارى ان ايراد المواضيـع بحسب نوعها خير من عرضها متفرقة مختلفة ، كي ينتهي القارىء مـن قراءة الدراسات الادبية ليبدأ بالمواضيع الاجتماعية وهكذا .. في حين ان المؤلفة اوردت المقالات بغض النظر عن موضوعاتها .

ولنبدأ بالمقالات الادبية :

فبعد ان اهدت المؤلفة كتابها (الى من يسدون النوافذليطفئوا نور الله ، والى من يفتحونها بادبهم ليملأوا القلوب من هذا النور) ، قدمـت له تحت عنوان « سواد في بياض » فشرحت المحافز لاختيار هذا الاسم وقالت : (.. وما كانت المقالة القيمة لتأتي من الهباء ، فهي وليـدة الليالي والايام في سوادها وبياضها ، ولعل البياض والسواد مما تتصف بهما المقالة فهي التي تعبر عن ظلمات الدنيا بالعدم والظلم والجهـالة وتصور ضياء الحياة الانسانية بالعلم والحرية والعافية) ...

ثم عرضت لتطور مفهوم الادب عبر العصور المختلفة في مقاله « مـن هو الاديب ؟ » وعرفت الادب والاديب بقولها : (فالادب اذن بصورة واطاره هو النصوص الابداعية التي يعبر بها صاحبها عن ذاته وتأملاته وعن شعوره وتجاوبه مع غيره وعصره بطابعه وشخصيته وهي التي تسميه أديبـا وتدل عليه بشعرها او نثرها)...

وفي مقال « حول الادب الحديث » نددت بالدعوة للاداب المحليـة « الاقليمية » ودعت الى تشجيع الادب العربي الشامل فقالت : « ... وقد يدهش ادباء الغرب المعاصرون حين ينظرون الى ادبنا الحديث وهم يعلمون ما وراءه من التراث الكبير فلا يجدون حاضره في تحفز ماضيه ، وغنية ذخائره وتعدد موضوعاته ..»

وتنتقد تهجم الادباء المحدثين على الذين سبقوهم وعلموهم وتسخر منهم في مقالة « العامية والسطحية » فتقول : (.. فوصم الثائرون ادب الكبار شيوخا وشبابا بأنه رجعي زخرفي مصدره الكتب الصفراء والبروج العاجية ولغته معقدة عسيرة وهم يريدون الادب نابعا من الروح الشعبية مكتوبا بالعامية بعضه او كله متسما بالواقعية وكأن هذه الواقعية المظلومة لم تكن في ادب السالفين الذين مشوا فيه مع الزمان في حلوه ومره وتمرسوا بالحياة اصدق مراس وكانت كتبهم معاهد للفكر والفن ومراجع للجامعات وثقافة للاجيال) .. .

بينما عرضت للادب العاري « الجنسي » الذي راجت سوقه مـؤخرا بين الادباء والاديبات فأصبح يطبع على شكل مذكرات واعترافات... كما فعل « أندريه جيد » و « مارسيل بروست » و « جان بول سارتر » وغيرهم .. فكتبت مقالا انتقدت فيه الوجودية .. وجعلته بعنـوان « الادب المكشوف قالت فيه : (ان مذهب الوجوديين انفسهم قد هبط من عالم الكتب والعقول الى عالم الحانات الداكنة تحت الارض حيث تطلق المرأة عنان صدرها وتندفع في رقص مجنون ويندفع معه الشاب في مرح صاخب وتحرر عام) ..

في حين انها كتبت مقال « الادب في الكتب السماوية » لتستعرض أثر هذه الكتب المقدسة في الادب العالمي منذ أقدم العصور وحتى اليوم .. (فالكتب السماوية الى جانب الاديان التي جاءت بها داعية وهادية قد ازدحمت بصور الفن والادب ونفحات الحكمة والشعور ، فالرجعة اليها رجعة الوجود الالهي الذي انطلقت منه العبقريات الانسانية باشعاع من نوره الاسمى)..

وقد بلغت الاديبة المؤلفة حد الروعة في مقال « الزهر والشعر » حينما شبهت المدارس الادبية الحديثة بالورد والازاهير المختلفة فقالت : (وهناك شعر مازجه التجديد في العزة والنسق فأشبه « الكاميليا » و « والنيلوفر » وشعر جمع بين الماضي الاصيل والحاضر الانيـق فأشبه « اللوتس » ! وما تزال أزهار من الشيح والقيصوم وعرار البادية تنسحب رفاتها على طائفة من شعر المعاصرين)

وفي مقال « طغيان القديم » لفتة ذكية بارعة دعت الى تشجيـع الادباء الناشئين بنشر آثارهم ، بدلا من الاكتفاء بنشر آثار القدماء وحدهم فقالت : « لقد الفنا التفاخر بالقديم ولم نصنع ما نصنع الاوائل واستفاض في اناشيدنا وقصيدنا الاعتزاز بالسابقين نردده في هزة ونخوة حتـى نشعر بالخدر والنشوة كأننا اطفال تدس في افواههم ملهاة الرضـاع كلما هاجهم البكاء ولم يجدوا الغذاء حتى يناموا وهي في أفـواههم العطشى » ...

واما القصة العربية من حيث الموضوع والابطال والبطلات فقد افردت له مقالة « في قصصنا الحديثة » التي هاجمت فيها فرانسواز ساغان والضليلات اللواتي قلدنها في ادبها الرخيص ـ المكشوف ـ بحجـة الواقعية المزعومة التي لم تنبثق عن مجتمعنا وانما هي مستوردة مقـلدة ... وقد قالت : « ..ومثلما اغوى حواء الشيطان الذي تقمص الثعبـان فأغوت آدم وكان منهما ضلال البشر كذلك فان طغاة من الرجال يغوون أقلاما مخدوعة ومستهترة بالشهرة التي وقعت في شركها ووقف الصائـد يضحك ويتلذذ بما هو أحب الى نفسه من الغزل والصبابة » ..

بينما عرضت للمسرحية العربية في مقال « المسرحية بعد شوقي » الذي ذكرت فيه فن المسرحية الشعرية والنثرية ودور شوقي فيهما وأثر

أباظه والحكيم وتيمور في تطورها .. وقالت : (ما كان فن المسرحية في أدبنا من ابتكار شوقي وابداعه فقد سبقه الى هذا الفن شعراء وادباء من مصر والشام كانوا من الرواد في اواخر القرن الماضي ومطالع العصر الحاضر ، لكن شوقي الذي يحتفل العرب في هذه الايام بتكريم ذكراه لمرور ربع قرن على وفاته قد اعطى الادب المسرحي روائع خالدة من شعره ونثره بلغ الفن في أبيات منها وصفحات حد الابداع والاعجاز وفتحت باب هذا الفن الموهوب للقادمين من المتمرسين الملهمين) ...

ثم عرضت سيرة عدد من الاعلام :

فكتب دراسة ادبية كاملة للشاعر المهجري « ايليا ابي ماضي » تمازجت روحها مع الطبيعة التي هام ابو ماضي في مباهجها واصغى الى الحانها وناغى زهرها وطيرها وكسا شعره من الوانها وضمخه بعبيرها حتى تعبد جمالها وتأدب بأدبها ..

وأما أحمد أمين فقد كانت معه في دراسة عميقة خلدت فيها مآثره وافكاره ونقدت مؤلفاته وابرزت تأييده ونصرته لتعليم والمرأة ونهضتها.

وكذلك « أنيس النصولي من رواد الوثبة العربية » فقد عددت مآثره ومؤلفاته وياديه البيضاء على الشعب العربي .

كما جمع الكتاب عددا من المواضيع النسوية حول « المرأة العربية » وهي :

مقال « تكريم الامومة » الذي استعرضت فيه قصة الامريكية « جان جارفس » « التي ناضلت حتى تبنى « ولسون » دعوتها للاحتفال بعيد الام تلك الدعوة التي طبقت الافاق ، وقد ذكرت في المقال عددا من الاقاصيص والاساطير حول حنان الام وعطفها ..

وحثت في مقال « المعلمة والكتاب » على المطالعة والتثقف بقراءة الكتب ونقدت فيه رأي « جورج دوهاميل » فقالت : (أثبت الواقع والتجارب ان الاذاعة والسينما بما وصلتا اليه من اندفاع واغراء وحيلة ما استطاعت واحدة منهما او الاثنتان معا انزال الكتاب عن عرشه ، وهذه دور النشر في الشرق والغرب متواترة الصدور قوية الظهور تنقل الى العالم كل يوم نبوغ العقل الانساني والهام الموهوبين فتدل على خلود الكتاب)..

بينما عرضت لمفهوم القومية وتطوره خلال الازمان لدى الشعوب المختلفة في مقالها « أثر المرأة في القومية العربية » وذكرت ان قضية فلسطين هي الشرارة التي بلورت القومية العربية في العصر الحديث ، وان المرأة لم تكن في يوم من الايام بمعزل عن احداث أمتها .

وفي مقال « مستقبل المرأة العربية » تساءلت : (.. فأين من الفتاة السافرة الجامعية حدتها او امها المدثرة بالحجاب او التي عاشت في عزلة وامية ؟ ما أكثر الشبه بينهما في حياة المرأة وبين طائرة اليوم التي تطوف في جو الارض وسمائها وصاروخ الغد الذي يعتزم العلماء الوصول به الى القمر ؟! فمن ماض مضطرب قاتم عاشت فيه المرأةالعربية الى حاضر ثائر تشخص فيه الابصار وتتحير الاسماع ، فيه تتجهز وتتحفز لوثبة جديدة نحو المستقبل القريب ؟)

اما الروح الفكهة والنكتة الساخرة اللاذعة والتصوير البارع للتنافس بين الجنسين فنجده في مقال « المرأة تخلد » الذي ختمته بقولها : (اذا لم تكن ـ المرأة ـ خالدة فكفاها مجدا انها تصنع الخالدين)..

واما « سر شهرزاد » فقد اجتمع فيه الادب الممتع والحكمة البالغة ، اذ عرضت لشخصية شهرزاد في الادب العربي كما صورها «الف ليلة وليلة » وكما تخيلها الحكيم وباكثر وطه حسين وغيرهم .. (واعتبرت شهرزاد نموذجا للغانية الشرقية السابية التي تأسر القلوب بجمالها وعقلها وذكائها وتمنت لو ان المرأة الحديثة اوتيت طرفا من سر شهرزاد لتباعد بينها وبين الرجل لان الرباط المقدس بينهما لا يتوثق الا باسباب عديدة يتصل اكثرها بالذكاء والثقافة اكثر مما يتصل بالجسم والزينة والمال) ..

واما المقالات ذات الصبغة العامة فهي :

« أزاهير الذنوب » الذي اتصف بالجدة والطرافة فقد انطوى على نماذج شهيرة لاناس مشهورين كانوا في مطلع حياتهم أشرارا ثم لبثوا ان تابوا لرشدهم واصبحوا أنقياء اطهارا (... وهكذا فان الشوك تطل من بين الازهار وان منابتها التي تتجافى عنها الملامسة هي نفسها التي تمتد لتقطف الزهر من حولها) ..

وفي هذه الغمرة الصوفية من التأملات تنقلنا المؤلفة الى بحث صوفي اخر بمقالها « لمحات من التصوف » وهو ان دل على شيء فانما يدل على اطلاعها الواسع على تاريخ الصوفية وماهية التصوف ... فقد عرضت للصوفية منذ عهد المتقشف « ايبكنت » الذي أثر على الامبراطور « مارك اوريل » وعهد «ديوجين» صاحب المصباح .. ثم تسلسل البحث ليعرض للصوفية الاسلامية التي أنشأها الحسن البصري فذكرت ملخصا وافيا لاراء الصوفيين وعقيدتهم ثم دعت الى الاخذ بصفاء الروح والى مجابهة تصاريف الدهر بشجاعة وايمان .

وفي مقالة « قلق الجيل » تحليل رائع لمجتمعنا الحالي .. فقد صورت القلق العنيف الذي دب في طبائع وسلوك الجيل الحاضر المتبرم بكل شيء ، والمصطرع مع الحياة ، وقد وضح ان هدفها من هذه المقالة اجتماعي بحت يرمي للاصلاح.

« ومسامير الفلك » بحث علمي صيغ بقالب ادبي ممتع فقد عرض لمشكلة عجز المخلوق عن الاحاطة بعلم الخالق .

وعلى نفس النمط مقالها « الربيع والحياة » الذي شحن بشطحات فلسفية ونظرات تأملية وهواجس نفسية حول الحياة وربيعها وقالت : (.. فالفكر المتوقد والموهبة المبدعة هما في ربيع دائم ولو كان صاحبهما في شيخوخة السن) ..

وفي مقال « ايام النهاية » تذكر وطنها وما قاساه من عسف الاستعمار وهو ان الاستبداد وتوجه اللوم للادباء الذين قصروا في حق امتهم ووطنهم وتقول : (ليس للمثل العليا في النضال وللقيم الانسانية الخالدة ختام ولا انتهاء ، فهي كرواية الزمان ليس لها ستار أخير)..

ولئن كان مقال « سحر المدينتين » هو الذي افتتحت به المؤلفة كتابها فانني افضل ان اختم به عرضي لمحتويات الكتاب ليضفي عليه من سحر « المدينتين » و سحر « الوصف » وروعته بهاء ونضارة ... فهو مقال ادبي رائع تصف فيه معالم دمشق والقاهرة بشوارعهما واحيائهما وتاريخهما ومواطن الجمال في كل منهما وما توحيانه للزائر من ذكريات وما تثيرانه من اشجان ... وكأني بالاديبة وقد ارادت الا تفض من قيمة الشرق عامة في سحره ومفاتنه وتاريخه فقالت : (ولعل السحر نفسه الذي لم يعرف سره حتى اليوم ولا مقياسه وشكله لم يكن مقصورا على دمشق والقاهرة من بلاد العرب ، فلقد سحرت بغداد وخلدت ايام فنها في « الف ليلة وليلة » ومنذ ازدحمت على هواها القلوب ، ولو اني عرفت سحر بغداد لشاقني ان اصور تأثيره في نفسي كما احسست بسحر المدينتين دمشق والقاهرة) ..

تلك هي لمحة خاطفة عن « سواد في بياض » الكتاب الذي لم تطغ فيه الناحية العقلية على الناحية الفنية في صوره واخيلته ، بل كانت

الشاعرية بجانب الفلسفة ، والفن بجانب الفكر ، والعاطفة ممزوجة بالعقل والاسلوب يتسم عامة بالطلاوة والوضوح لان الكتاب في افكاره ومواضيعه منتزع من صميم واقعنا ، فالمؤلفة ليست كغيرها من الادباء ـ والاديبات ـ الذين يتصيدون افكارهم ويستوحون موضوعاتهم من وراء السحاب ، بل انها تنزل الى المجتمع ، لتعرض نماذج واقعية في قالب اجتماعي جذاب حتى ان كثيرا من التشابيه والامثلة التي ضربتها جاءت واقعية ساذجة كما في مقال « طفيان القديم » الذي قالت فيه : (كاننا اطفال تدس في افواههم ملهاة الرضاع كلما هاجهم البكاء ولم يجدوا الغذاء حتى يناموا وهي في أفواههم العطشى) . .

واللفظ عندها حلو الوقع على الاذان فهي ليست من هواة المعاظلة والاغراب في الكلام بل انها تؤثر الفصيح المتداول على القديم الغريب ، لتكون مقالاتها في متناول القراء على اختلاف مستويات ثقافاتهم ، وميلها الى التبسيط يتعدى الكلام الى المواضيع ذاتها فهي تتجنب التعقيد وتتجافى عن الاطالة لتلائم بين المقال ونفسية القاريء.. بيد انها لا تترك المقال قبل ان توفيه حظه من البحث والتحليل في غير ما عناء ولا مشقة ...

ودراساتها كانت تعكس افكارها المجردة السامية فتنم على ثقافة واسعة متنوعة وذاكرة حافظة قوية وعقلية عميقة واعية ، وهذه الافكار لا يمكن لناقد ما ان يطعن فيها او يجرحها بشكل من الاشكال فهي ليست بالرجعية المتزمتة التي تنكر على المرأة وجودها وحقها في الحياة كشريكة للرجل ، تقف الى جانبه وقفة الند للند في كثير من الامور ، ولا هي بالمتهورة الطائشة التي تنادي باطلاق الحرية امام المرأة من اوسع الابواب حتى تصل الى درجة الفوضوية ، فتعمل في جسم المجتمع هدما وتخريبا ، لانه لم يألف ذلك النوع من الحريات بعد !

وللافكار الحديثة تأثير كبير في ادب وداد فدعت الى الاخذ بالجيد منها ونبذ الفاسد في غير تهور أو تسرع كما في مقال « الادب المكشوف » ومقال « اثر المرأة في القومية العربية » الذي دل على اطلاعها الواسع حول القومية وتطور مفهومها ...

وقد بدا واضحا ان الاديبة حينما كانت تكب على درر الاداب العالمية انما كانت تسودها مسحة دينية لم تلبث ان استحالت في قلبها وعقلها الى مسحة صوفية لمسنا اثرها في مقال « لمحات من التصوف » ومقال « ازاهير الذنوب » وغيرهما ...

وكان تفاعلها مع مجتمعها وبيئتها ظاهرا جليا في سائر مقالاتها ، فقد صرحت بعواطفها وعواطف غيرها من بنات جنسها فتمازجت مع المجتمع الذي دخلته مفكرة مصلحة تهدف للبناء وتعمل للاصلاح. .

واذا كنت اوافق السيدة وداد على ما في كتابها جملة فليس لي ان افعل ذلك حينما ناتي للتفصيل، فقد كتبت مقالا بعنوان « الادب في الكتب السماوية » قالت فيه ان لهذه الكتب تأثيرا كبيرا في الادب العالمي وحينما اخذت تضرب الامثلة لتدعم رأيها اوردت في طليعة المقالات قولها : (ان ابتهالات البراهمة هي التي اوحت لفيداس بانانشيده المليئة بصور الفن والجلال وكانت سبيلا الى ابتكار الملحمة الهندية المسماة « مها بهارتا » وان معابد باخوس في اليونان هي التي كانت نبعا فياضا لادب الاغريق الذي تألقت فنونه في الالياذة والاوديسة) ... فلتعذرني السيدة المؤلفة اذا اتهمتها بالخروج على الموضوع في هذه الناحية بالذات لاننا لو استقرانا العنوان من جديد لوجدنا ان البحث منحصر في « الكتب السماوية » فقط وليس سائر الاديان ! فما هي علاقة البراهمة ومعابد باخوس في « الكتب السماوية » ؟!

ومهما يكن من امر فان وداد سكاكيني تعتبر من اوائل الاديبات العربيات اللواتي يفاخر بهن الوطن العربي من محيطه الى خليجه ، ولعل الشيء الذي يسجل لوداد هو انها اديبة من صنع نفسها ، فشخصيتها الادبية من نسيج خاص يعز علينا ان نجد له شبيها بين ادبائنا واديباتنا في العصر الحديث .

وكتاب « سواد في بياض » يأتي في مقدمة الانتاج الادبي الذي ابدعته وداد وهو بحق مفخرة للادب النسوي العربي..

دمشق — **موفق بني المرجه**

النظرية التعبيرية

ـ تتمة المنشور على الصفحة ١١ ـ

لانها أكثر استبطانا لنفسها ... ولما كان يرى ان خير المدارس الفنية هي المدرسة التعبيرية المدافع عنها ، فهو يمجد على هذا الاساس تلك الاجناس الشمالية البيضاء!

واذا كان كروتشه قد رفض الدين واصيب بأزمة روحية، فهو قد احل محل هذ الرفض نظرة اشد عداء للبشرية في كلامه عن الفن ... و كانت نظريته هو واتباعه اعلى مراحل المثالية المأزومة المنهارة في القرن العشرين في مجال الجمال (*)

مجاهد عبد المنعم مجاهد

مراجع المقال

١ ـ بوزما : النظرية التعبيرية في الفن (ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد) مجلة الاداب يناير ١٩٥٦

٢ ـ كاريت : في فلسفة الجمال (ترجمة : عبد الحميد يونس واخرين)

٣ ـ كروتشه : المجمل في فلسفة الفن (ترجمة : سامي الدروبي) دار الفكر العربي ـ القاهرة ـ ١٩٤٧

4 - Beryle Lake : «A Study of the Irrefutability of Imo Aesthetic theories.» (Elton : Aesthetics & Language) Basil Blaclewell - Oxford 1954.

5 - Boumand : «The Expression theory of Art.» (Elton : Aesthetics & Language), Basil Blackwell-Oxford 1954.

6 - Carritt : Introduction to Aesthetics. Hutchinson's Un. Library - London.

7 - Osborne : Aesthetics & Criticism. Rantledge & Ilegdon London - 1955.

8 - Read : The Meaning of Art, Pelican Books - London 1954.

(*) .. هذا ملخص قصير للفصل الخامس من كتابنا « دراسات في علم الجمال » الذي يصدر في اول نوفمبر ويضم فصولا ستة هي : (١) موضوع علم الجمال ووظيفته (٢) النزعة الشكلية في علم الجمال (٣) من اجل مفهوم علمي للجمال (٤) ما هو الفن ؟ (٥) النظرية التعبيرية وحضارة الانسان (٦) التحليل النفسي والفن .